على أيديهم أفعال خاصة بالله، فلولا أنهم مخصوصون بكرامة الله لم تظهر على أيديهم أفعال الله.

فهنالك آيات إلهية تدل على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وحكمته وقدرته، وهي الكون بأسره، وآيات أخرى رسالية تدل على رسالة من أرسل بها وهي الأفعال الخاصة بالله، المستحيلة ممن سوى الله، فإذا يأتي إنسان بواحدة منها، تصبح دليلاً لا مرد له على رسالته الإلهية، كبيرة كانت أم صغيرة ما دامت هي آية رسالية.

إن آية الإسلام: القرآن - تعيش الفِطَر والفِكَر والعقول، ترسم للأجيال منهجاً للحياة لا حِوَل عنها ولا محيد، خارقة فكرية وعلمية لا تحمل مادية مقتصرة على الحواس، محتصرة بجيل خاص، وهم الذين يعيشونها، وإنما تتخطى الأجيال ما طلعت الشمس وغربت، دون غروب لشمسها، أو عزوب لنورها.

فهذه الرسالة الأخيرة لا تصحب ما صحبت الأولى من خوارق عابرة دائرة، اللّهم إلّا هامشية لا تعني إثبات هذه الرسالة عناية أصلية، وإنما تعني فيما تعني إخراج هذه الرسالة من الشذوذ فيما يخيل إلى ناس هم في الحق نسناس! ثم الأولون في هذه الآية هم كلُّ الأمم قبل الأخيرة الإسلامية، وهؤلاء الآخرون، فلا ضرورة ولا رجاحة في ابتعاث الرسول الأخير بمثل ما أُرسل الأولون، كما وأن مادة الرسالة الأخيرة تختلف بشطر منها وخلودها عن سائر الرسالات.

ولو كانت هنا ضرورة أو رجاحة في الإرسال بالآيات التخويفية لأرسل بها محمد ﷺ ولكنها كانت في الأوّلين.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾:

«و» اذكر ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ﴾ قاله الرب تبارك وتعالى

في آيات عدة بصيغ عديدة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾[١] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾[٢] حيطة العلم والقدرة أم ماذا؟ فلا يعزب عن حيطته شيء.

وترى ما هي الرؤيا الفتنة التي أريها الرسول ﷺ؟ هل هي الشجرة الملعونة في القرآن أم سواها؟ وما هي هذه الشجرة؟ وبماذا خوفهم، بالرؤيا الشجرة؟ أم إحداهما؟ أو سواهما؟.

أوَ هذه الرؤيا الفتنة مذكورة في القرآن فَنُفَتش عنه فيه؟... هنالك رؤيا صادقة بالحق تحمل بشارة لا تمت بصلة الفتنة: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾[٣] ومن ثم أخرى كمثلها تقلل الكفار، وتحمل الرحمة الروحية العالية لجنود الإسلام: ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ...﴾[٤] ثم لا نجد ثالثة تحمل فتنة ولا رحمة، أفلا ذكر عن هذه الرؤيا الفتنة في الذكر الحكيم؟

قد يعني الإجمال عنها هنا سياسة الحياد وجاه واقع الرؤيا الفتنة: بني أمية أمن ذا؟ ولكي لا يعارضوا القرآن وجهاً بوجه إذا ما وجدوا فتنتهم اللعنة جلية في القرآن[٥] ولكنما السنة المتظافرة كشفت عن وجهها النقاب، إنها رؤيا القردة ينزون على منبره ﷺ.

إنها لا تعني ما أريه الرسول ﷺ في سيره ليلاً من المسجد الحرام إلى

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٧.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٣.
(٥) نور الثقلين ٣: ١٨ في تفسير العياشي عن رسول الله ﷺ أنه قد رأى رجالاً من نار على منابر من نار يردون الناس على أعقابهم القهقري ولسنا نسمي أحداً..

المسجد الأقصى فكذبوا بها وعجبوا منه»[١] مهما كانت منها - كآية - مثلما أرسل بها الأوّلون، حيث الرؤيا هي في المنام ولقد كانت له هناك الرؤية دون الرؤيا.

وإنما هي ما يروى عنه ﷺ: «رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ «يعني الحكم وولده»[٢] رآهم ينزون... فساءه ذلك فما استجمع ضاحكاً حتى مات وأنزل الله...»[٣] وقال ﷺ: «رأيت بني أمية على منابر الأرض وسيمتلكونكم فتجدونهم أرباب سوء... فأنزل الله!...»[٤] وبذلك وردت متظافرة الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام[٥].

---

(١) الدر المنثور ٤: ١٩١ - أخرج ابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عن أم هاني أن رسول الله ﷺ لما أسري به أصبح يحدث نفراً من قريش وهم يستهزئون به فطلبوا منه آية فوصف لهم بيت المقدس وذكر لهم قصة العير فقال الوليد بن المغيرة هذا لساحر فأنزل إليه ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا...﴾ [الإسرَاء: ٦٠].
وأخرج ابن جرير عن قتادة في الآية يقول: أراه من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس ذكر لنا أن أناساً ارتدوا بعد إسلامهم حين حدَّثهم رسول الله ﷺ بمسيره أنكروا ذلك وكذبوا به وعجبوا عنه وقالوا: أتحدثنا أنك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة!

(٢) الدر المنثور ٤: ١٩١ - أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال...

(٣) فيه أخرج ابن جرير عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون...

(٤) فيه أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: .... وفيه أخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أصبح وهو مهموم فقيل له: ما لك يا رسول الله ﷺ؟ فقال: إني رأيت في المنام كان بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل: يا رسول الله! لا تهتم فإنها دنيا تنالهم فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]... وأخرج مثله ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيب فيه بدل «فقيل» - فأوحى الله إليه» إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه وهي قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا... فِتْنَةً﴾ يعني: بلاء للناس.

(٥) نور الثقلين ٣: ١٧٩ في احتجاج للطبرسي عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: وجعل أهل الكتاب القائمين به والعاملين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها أي يظهر مثل هذا العلم المحتملة في=

ثم وما هي ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾؟ هل هي شجرة الزقوم؟: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾[1] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾[2] فكونها ملعونة لأنها طعام الملعونين:

أم هي الكلمة الخبيثة في مثل القرآن: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[3] كلمة خبيثة في صيغة لفظية أم كونية في ذوات شريرة كبني أمية أم من ذا أم في أعمال وأية دالة على ما لا يُحمَد:

أم لا تعني - فقط - هذه أو تلك، شجرة اللعنة أو مثلها، بل واللعنة المتشجرة، المتدخلة المتخللة خلال المسلمين، المتشاجرة الشجرة الطيبة الإسلامية، المتربصة دوائر السوء بالإسلام ومن ألعنها شجرة أمية، كما يرويها الفريقان، وقد سمعوا عائشة[4] وغيرها عن رسول الله ﷺ ويرويها أئمة أهل البيت عليهم السلام[5]:

= الوقت بعد الوقت وجعل أعداءها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره...

(١) سورة الصافات، الآيات: ٦٢-٦٥.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٤٣-٤٦.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

(٤) الدر المنثور ٤: ١٩١ - أخرج ابن مردويه عن عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القرآن».
وعن علي عليه السلام كما يأتي: «ألا فجر أن من قريش ومن بني أمية».

(٥) نور الثقلين ٣: ١٧٩ ح ٣٧٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن الحسن بن علي عليه السلام حديث طويل يقول فيه لمروان بن الحكم: أما أنت يا مروان فلست أن سبيتك ولا سبيت أباك ولكن الله عزوجل لعنك ولعن أباك ولعن أهل بيتك وذريتك وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة على لسان محمد ﷺ والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من =

واللعنة الدائمة في القرآن متجهة إلى شجرات كهذه الملعونة، حلقات تلو بعض يعّج منها تأريخ الإنسان وتاريخ الإسلام، ولا سيما المنافقين المتظاهرين بالإسلام، المعارضين إياه، كاتمين البينات والهدى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[1] - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2] أولئك الذين يلعنهم الله يجنب من يلعنهم من الكفار وهم أشد منهم لعنة ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3].

إن الشجرة الملعونة في القرآن «الزقوم» تخرج في الدرك الأسفل ﴿فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وهي صورة تمثِّل سيرة المنافقين ومن أنحسهم بنو أمية، فهم زقوم في الدنيا وزقوم في الآخرة! وهم المَثَل الأسفل الأرذل من كلمة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار! وهم الكاتمون ما أنزل الله من البينات والهدى، المؤذون الله ورسوله فلعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً، وأي عذاب أهون من تمثُّلهم في شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين؟.

فهذه الشجرة الخبيثة تحمل مثلث اللعنات، وعلّها أو أنها هي الرؤيا

= رسول الله ﷺ ولأبيك من قبلك وما زادك الله يا مروان بما فوقك إلّا طغياناً كبيراً وصدق الله وصدق رسوله يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٦٠] وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن ورواه مثله في تأويل الشجرة الملعونة ببني أمية العياشي في تفسيره عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبي الطفيل قال كنت في مسجد الكوفة فسمعت علياً عليه السلام يقول وهو على المنبر وناداه ابن الكوا وهو في مؤخر المسجد فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ فقال: «ألا فجران من قريش ومن بني أمية».

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

التي أُريها الرسول فتنة للناس، ويا لها من فتنة أفتتن بها الكثير من الناس خيراً أو شراً، تمحيصاً وتخليصاً للمؤمنين، وتلبيساً على الذين في قلوبهم مرض من المنافقين، وقد يروى عن الرسول ﷺ وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام متظافرة أن الشجرة الملعونة في القرآن هي هي الرؤيا التي أريها الرسول ﷺ فتنة للناس[1] وهكذا موقف ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ أدبياً حيث تردف بالرؤيا في جعل واحد، قردة ينزون ويرقون منبره في منامه، وشجرة ملعونة في قرآن! «وما جعلنا الرؤيا . . . والشجرة الملعونة إلّا فتنة للناس».

وقد يقال إن الرؤيا هنا أخص من الشجرة الملعونة، كما ويروى عن علي عليه السلام: «إنها الأفجران من قريش ومن بني أمية» فذكرها بعدها ذكر للعام بعد الخاص، ولكن الرؤيا تمثل ألعن المصاديق لهذه الشجرة!

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾:

حسد فاتك من إبليس في حماقة كبرى يجعله يذكر الطين، غافلاً

(١) نور الثقلين ٣: ١٨٠ في تفسير العياشي عن الحلبي عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم قالوا سألناه عن قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا . . .﴾ [الإسرَاء: ٦٠] قال: إن رسول الله ﷺ أري رجالاً على المنابر يردون الناس ضلالاً زريق وزفر. وقوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسرَاء: ٦٠] قال: هم بنو أمية.
ورواه مثله في تفسير الشجرة الملعونة أبو الطفيل سمعت علياً عليه السلام يقول. . . وعبد الرحيم القصير وحريز عن أبي جعفر عليه السلام وعلي بن سعيد عن أبي عبد الله عليه السلام والطبرسي في الاحتجاج عن الحسن بن علي عليه السلام وقد مضى أمثال لها أخرى وفي كتاب الخصال عن أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه - وقد ذكر معاوية بن حرب - ويشترط علي شروطاً لا يرضاها الله تعالى ورسوله ولا المسلمون، ويشترط في بعضها أن ادفع إليه قوماً من أصحاب محمد ﷺ أبرارا فيهم عمار بن ياسر وأين مثل عمار؟ والله لقد رأيتنا مع النبي ﷺ وما بعد منا خمسة إلا كان سادسهم ولا أربعة إلا كان خامسهم.
اشترط دفعهم إليه ليقتلهم ويصلبهم وانتحل دم عثمان ولعمر الله ما ألبّ على عثمان ولا جمع الناس على قتله وأشباهه من أهل بيته إلّا أغصان الشجرة الملعونة في القرآن.

متجاهلاً عما نفخه الله في هذا الطين، فلو أنه نظر إلى نورية آدم ولم ينظر إلى نارية نفسه لما كفر!.

قفزة الخلقة لآدم الأول من طين:

و﴿طِينًا﴾ هنا ليس إلّا حالاً، خلقته حال كونه طيناً، فتصبح نصاً على قفزة دون واسطة للطين إلى آدم، رغم تأويلات الداروينيين في سائر آيات الطين: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[1] في قولتهم إن «من» النشوية الابتدائية الجنسية لا تثبت إلّا بداية طينية، أما أنها دون وسيط بقفزة أم بوسيط التكامل فلا تدل على شيء منهما، وقد يلوح من آيات أخرى التكامل! ليست هناك آيات تلمح للتكامل إلّا القفزة، وهنا الحال ﴿طِينًا﴾ تقطع المجال والآمال عما يهوون، نصاً في القفزة، فـ ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾ تعني خلقت آدم الأوّل حال كونه حين خلق طيناً ثم ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[2] مما تناصرها في هذه القفزة، حيث البداية تختلف عن الاستمرارية التناسلية في خلق سائر الإنسان، فلو عنت «من طين» فيما يعنون من النشوية البعيدة لم يكن فرق بين البداية وسواها، حيث النطفة تبتدىء من طين كما آدم في قولتهم.

وأما أن الجامد لا يأتي حالاً، فهو اجتهاد أدبي من استقراء، ولا قرية أدبية أحرى من القرآن، ولا يصح أو يحسن هنا ﴿طِينًا﴾ إلّا حالاً[3]:

(١) سورة ص، الآية: ٧١.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٧.

(٣) فكونه مفعولاً لخلقت وحيداً لا يصح حيث الصلة لا بد لها من ضمير إلى الموصول، أو أنه مفعول ثان أوله محذوف «خلقته طيناً» هو عكس الواقع أنه خلق طيناً إياه، لا خلقه طيناً، أو أنه مفعول أول تأخر «خلقت طيناً إياه» ولو أنه صحيح فغير فصيح، أو أن «طيناً» منصوب بنزع الخافض، وهنا موضع اللبس فلا ينزع الخافض فإن نزعه يخلف النزاع. فلا مجال في أدب القرآن إلا كونه حالاً.

خلقته طيناً وخلقتني ناراً والنار في أصلها وتبدلها التكامل خيرٍ من طين، فلماذا أسجد أنا النار لآدم الطين؟!.

وهنالك آيات أخرى صريحة في القفزة الطينية لآدم كـ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١] ولزام الممثل به أن يكون أمثل وأفضل فيما يمثل، ومادة المماثلة بين عيسى وآدم هي اختراق العادة في خلقهما فليكن آدم دون أبوين ليمثل به عيسى المخلوق من أم، وليس ذلك إلا خلقه قفزة من تراب، وأما الخلقة التكاملية فليست خارقة فلا مماثلة فضلاً عن كون آدم أمثل، فإنما ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾[٢] وهل الفخار يصنع الفِخار إلّا من طين، فكذلك فَخّار فِخار الإنسان خلقه من طين.

وأما آية الاصطفاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣] فلا تدل على ما يهواه الهاوون الغاون، إن آدم أبا هذا البشر كان بين أوادم فاصطفاه ربه لإنسال البشر، وجعله رسولاً إليهم، حيث الاصطفاء يكفيه أنه كان بين حواء وسائر الجن والشياطين، فاصطفاه رسولاً إليهم بعد العصيان والتوبة والاهتداء: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[٤].

ومهما كانت في سائر القرآن آيات تتشابه احتمالاً للتكامل، فهي متشابهة ترجع إلى أمثال هذه المحكمات ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[٥]! فلا مجال لخلق آدم - على ضوء

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ١٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٤) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

القرآن - إلّا القفزة الطينية، اللّهم إلا لمن يكفر بالقرآن، أم لا يفكر فيه فيهرف بما لا يعرف ناسباً له إلى القرآن! بما تأثر من تخيلات دارونية أماهيه، تحميلاً لها على متشابهات من الذكر الحكيم، متغاضياً عن محكمات القفزة الطينية اليقينية.

ولئن قلت إن شيطنة العقيدة تضرب إلى شيطنة التفهم عن خلق آدم، و﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾ من اجتهاد الشيطان؟.

فالجواب: إن الرحمن ليس ليصدق الشيطان فيما يكذب وإلّا أصبح القرآن البيان كتاب الشيطان، فلا تجد في القرآن استعراض ضلالة إلّا في إعراض وإبطال كما هو قضية كتاب الهدى وإلّا أصبح من كتب الضلال، فهنا السكوت عن إبطال ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾ ومن ثم في آيات تناظرها التصريح بطينية آدم برهان لا مردَّ له على تصديق لقوله أكيد، فليست كل مقالات الشيطان باطلة، وإنما يخلط حقاً بباطل إضلالاً، وليس يستطيع الشيطان أن يكذب ربه فيما خلق وفي مواجهة خاصة ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾! ثم الله هو القائل ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[1] لخصوص آدم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾[2] له ولبنيه حيث النطفة سلالة من طين، كما وأن طين آدم كان سلالة من طين.

ثم الشيطان وإن لم يكن من الملائكة إذ ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[3] ولكنه كان في زمرتهم تقدساً وعبودية لله فشمله الأمر كياناً وإن لم يشمله كوناً، كما ولم يعترض هو بذلك على ربه فيما اعترض، ثم و﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[4] دليل خاص على أمره و«قلنا للملائكة يدلنا أنه كان ضمن الملائكة».

(١) سورة ص، الآية: ٧١.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٢.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

والسجود هنا كما فصلناه في البقرة والجن ويوسف كان سجود شكر ولم يكن المسجود آدم، وإنما ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سجوداً لله لما أنعم عليهم من آدم معلماً ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[1]، فلا أن آدم كان قبلة لهم حيث السجود هو إلى القبلة لا لها وهنا ﴿لِءَادَمَ﴾ ولا أنه مسجود فإنما هو الله وآدم مسجودٌ له: ولأجله، فالسجود له قد يعني أنه مسجود كما الله، أو أنه سبب للسجود كالشكر لله بما أنعم ورزق كما تقول: سجدت لرزقي - لولدي أمّاذا.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾:

هنا يتهدد إبليس ربه في ذرية آدم باحتناك ذريته فتزول هذه الكرامة حيث يجعلهم في احتناكهم كمثله أم هم أضل سبيلاً، فينقض في زعمه الكرامة الربانية لآدم حيث يُنتقص من تلكم الكرامة... وكما انتقض فترة في عصيان آدم.

﴿قَالَ﴾ إبليس مخاطباً ربه: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ أرأيت نفسك ﴿هَـٰذَا﴾ الطين الحقير الهزيل الذليل ﴿ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ وقد ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾! أرأيتك تبقى هذه الكرامة؟ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؟

كلّا فإنني إن أخرت وأمهلت ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أنت كرمته عليّ لأنه يعبدك أكثر مني، وأنا أكرِّم نفسي عليه حيث احتنك ذريته... فيعبدونني أنا تاركين عبادتك! نرى قصة إبليس في آيات سبع، تشترك في أمر الملائكة بالسجود لآدم وإبلاس إبليس، حيث استقل كيان آدم المخلوق من طين، واستغل ناريته في إبلاسه عن السجود له، ثم تأتي بما تهدِّد إبليس ذرية آدم باحتناك ذريته إلّا قليلاً، وإن ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٣.